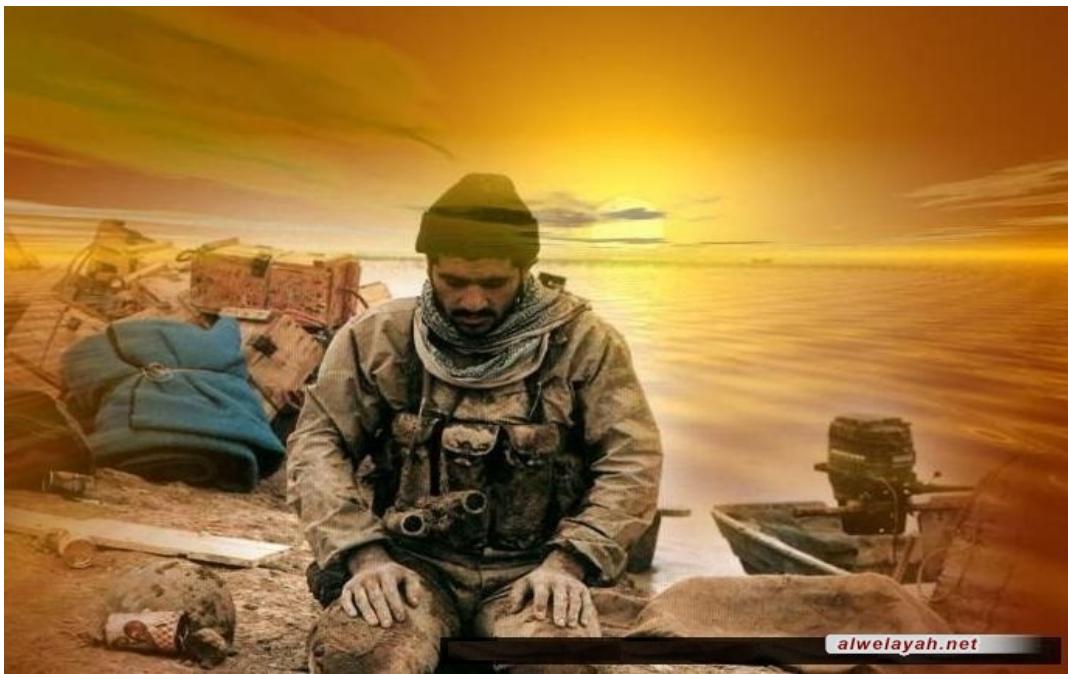


المجاهدون: مجتمع يحصن ويساند



عقبٌ فوّاح يلفَ المكان هنا وهناك، في ذاك البيت وتلك الزاوية، في قارعة الطريق، في ممرّات الأحياء، بين صخور الجبال وفي إحراج الوديان... أينما ذهبنا نستنشقه، وفوراً نشعر براحة وأمان.

فأيْ عبق هو أنت؟ ومن أيْ زهرةٍ أتيت؟ وكيف لك أن تدخل القلوب وتتربي على عروشها؟ لأنزك من شذى الحسين والعباس؟ لأنزك من رحيق فاطمة وزينب؟ لأنزك من عطر القائم؟ لأنزك من هذا كلّه سحرت البشر ورقَّ لك الحجر؟ لأنزك من هذا كلّه كُتّلت بالغار لشجاعتك وإقدامك وعزمك الذي لا يلين؟ لأنزك من هذا كلّه استحققت لقب "المقاوم" كما "الشهيد"؟

قليل الحظّ هو ذاك الذي لا يشتَمُ رحيقك ولا يعرفك ولا يدرك كنهك، أما المحظوظون فهم الذين يرقبونك، يرفعون أيديهم بالدعاء لك مقاوِماً كنت أو شهيداً.

فيابن فاطمة وعليٍّ، بك نقاوم، ننتصر، نمتطي صهوة الحياة ونمضي...

* مجتمع الشهداء الأحياء

تحدث الإمام الخميني قدس سره يوماً عن "مجتمع الشهداء الأحياء"، رجالات الله الذين نذروا أنفسهم للقضية والإسلام فسكنت أجسادهم بينما وتعالت أرواحهم إلى عالم ملكتي لا يغير قيمة للحياة. هؤلاء هم إخواننا، وأقرانا، وجيراننا، وأصدقاؤنا وأقاربنا القريبون والبعيدين، هم من سمعوا ناقوس الخطر التكفيري كما الصهيوني يدق، فهدوا للميدان للذود عن الأهل والديار والمقدسات. لم يكن لديهم وقت لأي شيء في هذه الحياة، مما ليثوا أن ارتدوا جعهم واعتمروا خوذهم وتزيّنوا بسلاхهم، حتى انطلقا بقامات منتبة ووجوه باسمة إلى الجهاد، إلى حيث الحسين، إلى دنيا الخلود.

هم غيرروا كل شيء؛ المعادلات القتالية، النظريات الحربية كما المفاهيم، ونجحوا في إقناع الناس رويداً رويداً بأن الشهادة ليست خسارة لشبابهم، وإنما هي قيمة إنسانية عظيمة هدفها طاعة الله. والواقع الحالي فعلاً عكس الأمر، فعوائل الشهداء اليوم كالجبار تشمُّخ عزاءً بشهادة أبنائهما وما يعزّ بها تفهمها للخيار الذي سعى إليه ولدها الشهيد والذي فيه رضوان الله في الدنيا والآخرة.

* سيماءهم في وجوههم

وعلى قاعدة "سيماهم في وجوههم" تجري معادلات الناس ونبوءاتهم أحيا نا، فتبعاً لخط الإخوة وأخلاقهم وتصرّفاتهم ومسلّكهم العملي يرسمون لهم صورة الشهادة. أليسوا هم من عايشوا المقاومة ووقفوا عند حياة شبابها وعرفوا مراياهم التي تخول لهم مقام الشهادة؟، بل... فالزهد في الدنيا، والعزم الراسخ والهمة العالية، والارتباط بمدرسة عاشوراء، ما هي إلا علامات الشهادة المنقوشة على جبين المجاهدين الشرفاء.

وممن يؤمن بذلك الحاجة فاطمة التي تقول: "منذ صغرى كنت أشاهد مع أهلي برامج تحكي سيرة الشهداء، وتبعاً لذلك اكتشفت أنهم متباهون في الأرواح، مختلفون في الأشكال، يجمعهم العطاء والإيثار والزهد في الدنيا وما دار بها.. يجمعهم ذاك الوجه الباسم البريء الذي يُنذر بالفارق. كنت أبكي لللوعة الفراق التي ستسكنني يوماً حين سيغادرني أخي شهيداً ليتحقق برকتهم بناءً على ميزاته التي تتطاوّق

معهم. وفعلاً، جاء اليوم الموعود وارتفع أخي شهيداً، لازم ببطهارتهم، والآن أترقب القافلة التي تسمو فوق البشر، والدعاء للمجاهدين يلزمني، فهذا أقلُّ الواجب الذي يمكن أن أقدِّمه لهم".

* هم أساس صمودنا واستمرارنا

ويدهشنا كميل، الشاب العشريني^{*} الذي تركت الموضة بـصماتها عليه بأشكالها، عندما يتكلّم عن المجاهدين والشهداء قائلاً: "إنّ" كان للشرف والعزّة عنوان فهو موجود في مجاهدي المقاومة وشهادتها، الذين لا يمكن أن نقدِّر تضحياتهم بأيّ طريقة، ولا يمكن أن ننظر إليهم إلّا نظرة اعتزاز وفخر لأنّهم هم أساس صمودنا واستمرارنا. عندما أرى صور المجاهدين على الجبهات في الحرّ والقرّ في ساحات مكشوفة ينتابني شعور بالخجل، فأين أنا منهم؟ وعندما أسمع بشهيد أطأطده رأسي اعتراضاً بجميله علىّ، وأدعوه ألاّ أن يختتم لي بالشهادة التي بدأتُ أدرك حلوتها خلال تشبيع الشهداء من الرفاق والأقارب، الذين رحلوا دون أن أعرف لهم بمكانتهم لدى^{*} ومدى إعجابي بخصالهم، التي أسعى لأستمدّها منهم".

* عملنا لا يضا هي جهد مقاوم

أمّا الحاجة ابتسام فلها قصّة مختلفة مع المقاومة، تكتمل معالّمتها مع بدايات الدفاع عن المقدّسات، وكونها إحدى الأخوات العاملات مع "الهيئات النسائية"^{*} فهي تعمل بكلّ طاقاتها لأداء مسؤوليّاتها وخصوصاً فيما يتعلّق بموضوع المجاهدين والشهداء، وتعلّق: "منذ البداية خطّنا هو حزب ألاّ وخيارنا هو المقاومة. هذا الخط كبرٌ معنا، صقلَ أفكارنا أكثر ووسّع مداركنا الإيمانية والعقيديّة. مع بداية الدفاع عن المقدّسات وال الحرب في سوريا شيءٌ ما فينا تغيير، وفي المجتمع بشكل عام، فمعرفتنا ببعض المجاهدين نظراً إلى كونهم من أبناء محيطنا الاجتماعي^{*} وإخواننا جعلنا نعيش حالة قلق مع كلّ غياب لهم، حالة ترقّب ودعاية بالعودة سالمين منتصرين وهذا جلّ ما يكون. من ناحية أخرى سقوط أعداد من الشهداء زاد من واجباتنا تجاههم، من خلال التحضير والتنسيق للتثبيع، وتجاه عوائلهم، من خلال الوقوف معهم والتحفيف عنهم. ومع تكرار المشهد، وصعوبة الظروف التي عاشها المجاهدون، حاولت أن يكون لي دور مع المجاهدين من خلال تحضير وجبات الطعام لهم. ولمّا كنت أملك

مكاناً مناسباً، جهزته بالأوابي والأغراض المطلوبة وجعلته في خدمة من يريد أن " يؤاجر" بوجبة طعام لمقاوم. ولعله هذا أمر يسير لا يضا هي قطرة عرق مقاوم مُنهك".

هذا هو حال مجتمعنا، مجتمع حاضنٌ للمقاومة، مقدّر لتصحيا تها ولجهودها الرامية لحمايته. وينعكس اندفاعه نحو عالم المقاومة عبر تقديم الأولاد والدعم المادي والمعنوي لها دون أي تردّد، على أنه بذلك يفيها جزءاً من الجميل.

* مؤسسات حاضنة

شكّلت الجهود الشعبية العفوية دوراً كبيراً في مناصرة المقاومة الإسلامية في لبنان منذ اطلاقتها عام 1982، إثر الاجتياح الصهيوني. ومع تصاعد عمليّات المقاومة وتضاعف الجهود انبثقت بعض المؤسسات الاجتماعيّة والخدماتيّة الداعمة للخطّيّة الجهادي بمباركة من الإمام الخميني قدس سره الذي لم يغفل بواعيه الثاقب عن الدعوة إلى إنشائها لتحفظ هذا المجتمع المقاوم وتعزيز قدرته على التحمل والمواجهة. وهكذا ولد من رحم المقاومة مجموعة مؤسسات رائدة في عالم الخدمات والرعاية وحفظ المقاومة، كان منها مؤسسة الشهيد ومؤسسة هيئة دعم المقاومة.

أ- هيئة دعم المقاومة

بمبادرة مجموعة من الإخوة المتظوّعين من أجل تأمين الدعم المادي والمعنوي للمقاومة نشأت هيئة دعم المقاومة الإسلامية عام 1990.

وعن كيفية دعم المجاهد وتأمين احتياجاته، يقول المسؤول الإعلامي لهيئة الدعم الحاج بلال عبد الساتر: "هناك جملة من المشاريع المبتكرة قامت بها الهيئة وهي:

- مشروع قجّة المقاومة.

- مشروع المجمّم.

- مشروع الاشتراك الشهريّ.

- مشروع التبرّعات العامّة.

- مشروع تجهيز مجاهد.

ويضيف الحاج بلال: "تهتمّ هيئة دعم المقاومة بجمهور المقاومة وتعمل على وصلهم بالمقاومة من خلال: الدعم الإعلاميّ، والأنشطة الفنية والثقافية التي تقوم بها الهيئة".

وأخيراً، وباسم هيئة الدعم تقدّم الحاج بلال عبد الساتر بالشكر من كلّ الداعمين والمساهمين على تجاوبهم وثقتهم، وعلى دورهم الفعال في استمرار مسيرة المقاومة.

ب- مؤسسة الشهيد

من جهتها انطلقت مؤسسة الشهيد مع انطلاق الرصاصات الأولى للمقاومة، لاستيعاب نتائج العدوان الاجتماعيّاً وإنسانيّاً. ويحصر المسؤول الثقافي في المؤسسة الشيخ يوسف عاصي الأهداف الأساسية التي تقف وراءها المؤسسة: "برعاية عوائل الشهداء، وحفظ إرث الشهداء، وتعزيز ثقافة الشهادة في المجتمع". ويضيف: "انطلاقاً من هذه الأهداف تحرص المؤسسة على تقديم الرعاية الشاملة لأُسر الشهداء بكلّ أبعادها المادية والمعنوية وعلى تأمين رعاية تعليميّة شاملة لأبناء الشهداء وغير ذلك من الاحتياجات الضوريّة أو الطارئة بما يؤمن لهذه الأُسر المضحّية عيشاً لائقاً وكريماً... وهذه الخدمات ما هي إلّا محاولة للوفاء بالدين الذي تركه الشهداء في أعناقنا".

ويؤكّد الشيخ عاصي أنّ لعمل مؤسسة الشهيد تأثيراً على حفظ مسيرة الجهاد من خلال رفع معنويات المجاهدين الذين يدركون التفاف الناس حول أمانة الشهداء وقيام المؤسسة بدورها المناسب مع

عوائلكم، إن° كتب إِلَيْهم الشهادة.

وفيما يتعلّق بعلاقة المؤسسة مع الناس يقول الشيخ يوسف: "الناس في مجتمعنا يقدّسون الشهادة، لذلك تحرّص المؤسّسة على التواصل مع مختلف الشرائح الراغبة بالمساهمة النقديّة في برامج التكفل المختلفة".

* وقفه مع الإمام الخميني[ؑ] قدس سره

خير الختام مع الإمام الخميني قدس سره إذ يختصر قيمة الجهاد والشهادة بقوله: "مهما كان، فإنَّـ قلمي ولسانني عاجزان عن ترسيم المقاومة العظيم لملاليين المسلمين، عشاق الخدمة والإيثار والشهادة في هذا البلد، بلد صاحب الزمان أرواحنا فداه. ولا يمكن توصيف مجاهمات وبطولات وخيرات وبركات هؤلاء الأبناء المعنويَّين لكونهن فاطمة الزهراء عليها السلام، وبالتالي تأكيد فإنَّـ هذه البطولات نابعة من منهج الإسلام الأصيل وأهل البيت، ومن بركات ولاية "إمام عاشوراء" سلام الله عليه".

تحقيق: زهراء عودي شكر

المصدر: مجلة بقية |